عودُ الضمير وأثرهُ في تحقيق الاتِّساق النصّي في أمالي الزجّاجي (ت:337ه) دراسة سياقية نصّية

أ.م.د. باسل محمد محيي الدين
الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب
basilmohammad805@gmail.com

DOI: https://doi.org/10.36473/ujhss.v60i4.1810
تاريخ الاستلام : 6/12/ 2020
تاريخ القبول : 25/1/ 2020

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المستخلَص

السياق عنصر خارج عن النظام اللغوي ويساعدُ على فهم النصّ وفكّ رموزه، ولا يمكن الاستغناء عنه في كلّ مستويات اللغة ويُسهِم في تحديد المعاني المقصودة لهُ، أما نحو النص فهو علمٌ واتجاهٌ جديدٌ في الدَّرس اللُّغوي، غايتُه القصوى فهم أوجه الترابط النحوي المتجاورة للجُملة الواحدة إلى سلسلةٍ طويلةٍ أو قصيرة من الجُمل تؤلِّف نصّاً محدّداً. فنحو النصّ نمطٌ من التحليل اللُّغوي يمتدُّ تأثيره إلى ما وراء الجُملة موضِّحاً علاقة الجملة بالجملة الأُخرى، وهذا العِلم يبحث في سلسلة ما دون الجملة والجملة. والغاية المتوخَّاة من هذا البحث: تسليط الضوء على مدوّنةٍ لغويةٍ هي أمالي الزجّاجي (ت:337ه) التي تضمُّ أمشاجاً من نصوصٍ من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ومُختار كلام العرب. واختيار عنصري السياق والاتِّساق النصّي – محوراً للدراسة– لأهميتهما في كشف معاني اللفاظ التي يحددها السياق والموقف الذي ترِدُ فيه في الدراسات النحوية والنصّية؛ والاتساق النصي المرتكَز في الربط بين هذه الجملة وتلك. وأهم هذه الروابط الضمائر... وغيرها من الروابط التي تُحقِّق الاتِّساق بين أجزاء النصّ والخطاب. وتَبَنَّى البحث عرضاً للإحالة الضميرية الداخلية النصّية والخارجية المقامية في هذه الأمالي مع تعيين المخاطَبين عن طريق الوقوف على السياقات النحوية الواردة فيه، وكانت الإحالة الداخلية النصّية هي الأكثر وروداً في هذه المدوّنة اللُّغوية.

الكلمات المفتاحية: نحو النصّ، السياق، أمالي الزجّاجي

The Attribution of the Pronoun and its Impact on Achieving Consistency in Amali Al-Zajjai (T. 337 AH): A Textual and Contextual Study

Asst. Prof Dr. Basil Mohammed Mohee Aldeen

Al-Mustansirya University/College of Arts

basilmohammad805@gmail.com

Abstract:

The context is an element which works out of the linguistic system that helps to understand the text and decode its symbols. It cannot be dispensed with in levels, and contributes to determining the meanings intended for it. As for the syntax text, it is a science and direction in the linguistic lesson whose ultimate goal is to understand the syntactic interconnections of a single sentence into a long or short chain of sentences that make up a specific text

The purpose of this research is to shed light on linguistic blog of Amali Al-Zajjaji, T 337 A.D. which includes mixed types of texts of Holy Qur'an and the Hadith of the Prophet and some selected words from the Arabs. And choosing the two elements of context and textual consistency as the focus of study and revealing the meanings of the words determined by the context and the position in which they appear. For their importance in revealing the meanings of the words determined by the context and the position in which they appear in the syntactic and textual studies and the basis for the connection between this sentence and that, with the specification of the addressee by standing on the grammatical contexts contained therein. The textual internal reference was the most frequently mentioned in this linguistic blog.

Keyword: Amali al-Zajjaji, context, Text Grammar

مُقَدِّمة

الحمدُ لله الذي نهجَ لنا سُبُلَ الرَّشاد وَهَدانا بنورِ الكتاب {وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا}[الكهف: 1]، بل نزَّله قيّماً مفصّلاً بيّناً. وأفضل الصلاة وأتمّ السلام على أشرف الخَلْق أجمعين سيّدنا محمد رسول الله وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وصحابته الغُرّ الميامين، وبعد:

تبرز أهمية الضمير في الدرس النحوي في رفع الالتباس في التراكيب والجمل ضمن النصوص اللغوية، فضلاً عن الاختصار ورفع التوهم، وهو اسمٌ وضُعَ ليشير لمسمّاهُ الذي سبق ذكرهُ وتعيينهُ ويعُد جزءاً من السياق التشخيصي.

ويُعَدُّ نحو النصّ عِلماً واتّجاهاً حديثاً في الدَّرس اللُّغوي مُستقياً إجراءاته من عددٍ من العُلوم المختلفة، مسخِّراً هذه العُلوم في تقديم تفسيرٍ أرحب للنصّ من خلال تلك المناهج، و نحو النصّ Text Grammar تعبيرٌ جديدٌ أُطلِقَ على ميدانٍ من البحث اللُّغوي غايته القصوى فهم أوجه الترابط النحوي المتجاورة للجُملة الواحدة إلى سلسلةٍ طويلةٍ أو قصيرةٍ من الجُمل تؤلِّف نصّاً محدّداً كونه الوحدة اللغوية الكبرى وأنّه يجمع بين العناصر اللغوية وغير اللغوية لتفسير النص.

إذ من الطبيعي أنْ تربط هذه الجُمل بروابط توفّر للنصّ تماسكَهُ الشكليّ والمعنويّ (البحيري، 1997، صفحة 155) (155.Albihery, 1997, p)، لأنَّ علم الجملة يؤكِّد تحليل الجملة، إذ لم يدع صغيرة ولا كبيرة في الجملة إلّا ودرسها.

تَبَنَّى البحث عرضاً لعود الضمائر – والمرجعية– الداخلية النصيّة والخارجية المقامية مع تعيين المخاطَب بأبعادٍ نصية مع مراعات القواعد النحوية.

واقتضى البحث أنْ يكون في مقدمةٍ وتوطئةٍ تحدثتُ فيها بإيجاز عن – الاحالة – في الدراسات النصيّة ، و عن الضمير في الاستعمال النحوي، وعن أهميّة السياق في السلسلة الكلامية فضلاً عن علم لغة النص، والاتساق النصي، وضمّت الدراسة مطلبين: الأوّل، الإحالة الداخلية (النصيّة) بدأتُهُ بمدخلٍ عن مفهوم الإحالة النصيّة مع ذِكرِ أقسامِها وأثرها في السياق، مع اختيار نماذجَ من أمالي الزجّاجي؛ لإظهار هذا المنحى. وخُصَّ المطلب الثاني بالإحالة الخارجية (المقامية)، إذ عرضتُ فيه – باختصارٍ– أقوال اللُّغويين المحدثين عن هذه الإحالة، وكونها الأكثر شيوعاً في الرابط بين الجُمل والعبارات، مع انتخاب نماذج من الأمالي لإبراز أهمية هذا الرابط وقُدرته على ربط جُمل النصّ واتّساقها. وتُعَدُّ هذه الدراسة محاولةً في التحليل السياقي من منظورٍ

تطبيقيٍّ متمثِّلاً بمعيارِ الاتّساق على نصوصٍ لغويةٍ عاليةِ المستوى والمحتوى، معتمدينَ المنهج السياقي التحليلي وفقاً لمُعطياتِ عِلم لغة النصّ التي قامت بتفكيك النصّ إلى أجزاء مع الاحتفاظ بالعلاقات القائمة بين هذه الأجزاء والإبقاء على الوحدة الكلامية وبيان مدى تماسكه واتّساقه. أمّا المنهج المُتّبَع في كتابة الهوامش، فهو نظام التوثيق (APA) وفق المنهج الآتي: إيراد الهامش – الإحالة– في المتن بدءاً بِذكر لقب المؤلِّف فتاريخ طبع الكِتاب فذِكر رقم الصفحة فالجزء إن كان المصدر المُحال إليه عِدّة أجزاء، وعند وجود أكثر من مصدرٍ لأحد المؤلِّفين فيتمّ التمييز بينهما عن طريق سنة طبع الكِتاب وكما مثبت في ثبت المظان. اللّهُمَّ وفّقنا لمرضاتِك وأعِنّا على خدمة العربية لُغةَ الذِكر الحكيم، وآخر دعوانا أن الحمدُ للهِ ربّ العالمين.

توطئة

نحو النص نمطٌ من التحليل يمتدُّ أثرهُ إلى ما وراء الجُملة سعياً لتوضيح علاقة الجملة بالَّتي تليها ضمن وحدةٍ لغويةٍ أكبر، سواءً أكانت فقرةً أو عدداً محدوداً من الجُمل أو نصّاً تخضع لمعايير الخِطاب (خليل، 2010، صفحة 215) (215.Khaleel, 2010, p)، فعِلم قواعد النص يرصد الروابط التي تضمّ الجُمل بعضها إلى بعضٍ سواء روابط زمانية، ومكانية، وتركيبية، ولا سيّما المضمون، وهذا العلم ينظر في سلسلة ما دون الجملة والجملة – إنْ صَلُحَتْ لكي تكون نصّاً في الحدود الدُّنيا التي يتطلَّبها التواصل الإنساني– ثم ما فوق الجملة (خليل، 2010، صفحة 215) (215.Khaleel, 2010, p).

اقتضت التوطئة أنْ تخرج في عدة محاوِر بعد هذه الإشارة العابرة إلى تحديد ملامح عِلم نحو النص

1– الاحالة –عود الضمير– في الدراسات النصيّة:

الإحالة وسيلة من وسائل الاتِّساق النصي وأكثرها شيوعاً وتداولاً في الربط بين الجُمل والعبارات، فالإحالة تُحَقِّق الإيجاز في الكلام وتُبعدُهُ عن التكرار، وقد جعلها دي بوجراند من أهم المعايير التي تُحقِّق الكفاءة النصيّة بقوله: "بأنَّها صياغة أكبر كمية من المعلومات باتفاق أقل قدر من الوسائل" (دي بوجراند، 1998، صفحة 299) (299.De Beaugrande, 1998, p).

ومن المؤكَّد أنَّ كلّ لغةٍ تمتلك وسائل يتحقَّق عن طريقها خاصيّة الإحالة وتتمثل في الضمائر وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وقدَّم لنا أحمد عفيفي – بهذا الشأن– تعريفاً شاملاً

لمفهوم الإحالة بقوله: "علاقة معنوية بين ألفاظٍ معينة وما تُشير إليه من أشياءٍ أو معانٍ أو مواقف، تدلُّ عليها عباراتٍ أُخرى في السّياق أو ما يدلُّ عليها المقام، وتلك الألفاظ المُحيلة تُعطي معناها عن طريق قصد المتكلم، مثل الضمير واسم الإشارة والاسم الموصول... إلخ، إذ تُشير هذه الألفاظ إلى أشياء سابقة أو لاحقة قصدت عن طريق ألفاظٍ أُخرى أو عباراتٍ أو موافق لغويةٍ أو غير لغوية" (عفيفي، صفحة 12، 13) (12.Afifi, n.d, p, 13). علماً أنَّ البنية الإحالية تتشكَّل من عنصرين، إذ يُشكِّل العنصر الإشاري مع كلّ عنصرٍ إحاليٍّ متعلِّق به بنيةٍ إحاليةٍ، ولا قيمة دلالية للعناصر الإحالية من دون العناصر الإشارية التي تعمل على تفسيرها (نزار، 2009، صفحة 3) (3.Nazar, 2009, p)، فالإحالة لا تكتفي بذاتها كي تتأوَّل، بل لا بُدَّ من العودة إلى ما تُشير إليه لغرض تأويلها (خطابي، 1991، صفحة 17) (17.Khitabi, 1991, p).

2–الضمير في الاستعمال النحوي

الضَّمير اسْمٌ وُضِعَ لِيُشير إلى مُسمَّاه الذي سبق ذكرُهُ وتعيينه، و" يسمى الكناية، قسمان: متَّصل: لا يقع أوّلاً، ولا تِلوَ إلَّا في غير ضرورة في الأصحّ، وهو تاء تُضَمُّ لِمُتكلِّم وتُفْتَحُ لِمُخاطَب وتُكْسَر لِمُخاطَبة، ونون الإناث، وواو وألف لغير مُتكلِّم وياء لمُخاطَبة وهي مرفوعة، وقيل: الأربعة علامات ضمير مُسْتَكِنّ، ونا لِمُعَظَّم أو مشارك، لرفعٍ ونصبٍ وجرٍّ، وكافٌ لِخطابٍ، وهاءٌ لغائبٍ وياءٌ لمُتكلِّمٍ منصوبةٌ ومجرورةٌ. والثاني منفصل: وهو للرفع (أنا) للمتكلِّم... ويتلوه في الخطاب تاء حرفية كالاسمية لفظاً وتصرُّفاً... ونحنُ له مُعَظِّماً أو مشاركاً... وهي وهو وهما وهُنَّ لغيبة... وقد تُستعمل هذه الضمائر مجرورةً، وللنصب إيَّا، ويليه دليل مُرادٌ به من متكلم وغيره" (السيوطي، 2009، صفحة 190/1، 200، 205) (190/1.Alsiyouti, 2009, p, 200, 205).

وتكمن أهمية الضمير في الدرس النحوي بأنه وُضِع لرفع التوهمُّ والالتباس وطلب الاختصار، يقول الرضي: (أعلم أنّ المقصود من وضع المضمرات رفع الألتباس، فإن (أنا) و(أنت) لا يصلحان إلاّ لمعنيين، وكذا ضمير الغائب نصّاً في أن المراد هو المذكور بعينهِ في نحو: جاءني زيداً وإيّاهُ ضربتُ) وفي المتصل يحصلُ مع رفع الالتباس الاختصار وليس كذا الأسماء الظاهرة، فإنّهُ لو سُميّ المتكلم والمخاطب بعَلَميْهِما فربّما ألتبسَ، ولو كُرّرَ لفظ المذكور مكان ضمير الغائب فربّما توهّم أنهّ غير الأول) ((الرضي الاسترابادي، 2000، صفحة 138/3) (Alradi Alistrabadi, 2000,P, 138/1)، والضمير الاسم الأكثر حضوراً في تحقيق الإحالة لظهوره بمواضِع وصور عِدّة – حسب تقسيم النُّحاة–، فالأصل أنْ يعودَ الضميرُ إلى متقدم سبق

ذكره في اللَّفظ بالمطابَقة ومنه قوله تعالى: {وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ}[طه: 121]، وقد يعود على مذكورٍ في سياقٍ مؤخَّر لفظاً مُقدَّمٌ في النِّيَّة نحو قوله تعالى: {فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ}[الرَّحْمن: 39]، وقد يدلُّ على صاحب الضمير بالتَّضمين نحو قوله تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ}[الأنعام: 121]، فالضَّميرُ عائِدٌ للأكل المتضمّن له (تَأْكُلُوا) أو يدلُّ عليه بالالتزام نحو قوله تعالى: {فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ}[الواقعة: 83]، أي النَّفس؛ لدلالة ذِكر الحُلقوم، فضلاً عن غيرها من حالات عود الضمير (الزركشي، 2008، صفحة 725، 726) (Alzarkashi, 2008m p.725, 726).

والضَّمير – عند علماء النص– مِن وسائل الاتِّساق النصيّة البارزة والمهمّة ضمن الإحالة الداخلية أو النصيّة والخارجية كونها تربط بين أجزاء النص المختلفة سواء شكلاً ودلالةً داخلياً أم خارجياً، سابقاً أم لاحقاً (الفقي، 2000، صفحة 137/1) (AlFiqhdi, 2000, p 137/1.)، فالإضمار من أهمّ الشرائط النحوية التركيبية لاتِّساق النصوص وإحدى الوسائل الأساسية في بناء النصّ، وقد بيَّن دي بوجراند أهمية الضمير وأثره في الربط الإحالي داخل النص بقوله: "والضمائر أشهرُ نوعٍ من الكلمات الكنائية ويُشاركها في الإحالة بصفةٍ عامة ما يوجد في النصّ مِن أسماء" (دي بوجراند، 1998، صفحة 321) (De Beaugrande, 1998, p 321.).

فالضَّمائر – كظاهرةٍ لغويَّة– تُسهم في بناء النَّسق التداولي لارتباطها بالعملية التبليغية والخِطاب كونها ألفاظٌ لا تملك دلالةً مستقلَّةً، ولكنها تعود على عنصرٍ أو عِدَّة عناصر ذُكِرَتْ في طيَّات الخِطاب، فضلاً عن قيام "الروابط بدورٍ مهمٍ في عمليات فهم الخطاب" (موشلار، 2003، صفحة 173) (Moshlar, 2003, p 173.).

أقْسامُ الضَّمائِر في الدرس النحوي:

الضَّمائر في العربية – وحسب الحضور في المقام أو الغياب– تنقسم على قسمين هما: ضمائر الحضور، وضمائر الغيبة، وتتفرَّع ضمائر الحضور إلى متكلّم – هو مركز المقام الإشاري وهو الباثّ– وإلى مُخاطَب يُقابله في ذلك المقام ويُشاركه فيه وهو المُتَقَبِّل (الزنّاد، 1993، صفحة 117) (Alzannad, 1993, p 117.).

ويرى عُلماء النصّ أنَّ ضمائر المتكلّم والمخاطَب تُحيل إلى شيءٍ خارج النص نحو: (أنا، أنت، أنتما، نحن... تاء الفاعل ونا المتكلمين)، وهذه الضمائر تُحيل إلى خارج النص، ولا تُصبح

إحالتها داخلية إلّا في الكلام المُسْتَشْهِد أو الخطاب السَّردي، ومِن ثمَّ فإنَّ هذه الضمائر تُسهِم في اتِّساقِهِ. أمَّا ضمائر الغيبة إفراداً، أو تثنيةً أو جمعاً: (هو، هي، هما، هُم، هُنَّ)، فهي تُحيل إلى داخل النص، متصلة ومنفصلة وتؤدي أثراً مهماً في اتِّساق النص (خطابي، 1991، صفحة 18) (18.Khitabi, 1991, p)، لأنَّ ضمائر الغيبة غالباً ما تُشير إلى شيءٍ داخل النص ومن ثمَّ تُلزِم المتلقّي أنْ يبحث في النص عن الشخص أو الشي الذي يعود إليه الضمير فيكون ذلك من قبيل الترابط النصي الذي يؤكِّد دراسته النصيّون (عفيفي،د.ت، صفحة 24) (.(Afifi, *n.d*, p.24

وهذا التقسيم لأنواع الضمائر التي تربط بين أجزاء النص من الناحيتين الشكلية والدلالية داخلياً وخارجياً هو المُعْتَمَد في هذه الدراسة.

3- أهمية السياق في السلسلة الكلامية:

السياق (Context) عبارة عن مجموعات من الكلمات المتراصّة مكتوبة أو مسموعة فضلاً عن معنى جديدٍ تمثّلَ فيما يحيط بالكلمة المستعملة في النص من ملابسات لغوية وغير لغوية (حسام الدين ، 2001 ، صفحة ، 251) (Housam Aldeen p, 2001, 251) فالسياق لفظ يتكون من سابقة (Con) وتعني المشاركة أي وجود أشياء مشتركة تقوم بتوضيح النص، وهي تتضمن أموراً أخرى تحيط بالنص كالبنية المحيطة والتي يمكن وصفها بَأنّها الجسر بين النص والجمل (الفقي ، 2000، صفحة 1/ 108,P108 ,2000 ,1987 ,Lines, 1/108)( )والسياق ينقسم على قسمين هما: السياق اللغوي والسياق غير اللغوي، والمراد به كلُ ما يحيل على خارج النص أو ما حولهُ من مؤثرات بيئية. ومن الممكن ان تنعكس على النص، لذا فالنص تتجاذبهُ علاقتان، داخلية كي يتماسك، فضلاً عن وقوعه بين التأثير والتأثر من قبل البيئة المحيطة، فالعلاقة تلازمية بين النص والسياق حيثُ يؤثر فيه، وعن طريقه نتمكن من القبض على المعنى النصّي. وقد أكد جون لاينز على أهمية العلاقة بين النص والسياق، إذ يرى أنّ كلاً منهما متمّمُ للأخر، وتُعد النصوص مكونات للسياقات التي تظهر فيها، أمّا السياقات فيتمّ تكوينها وتحويلها وتعديلها بشكلٍ دائم بواسطة النصوص التي يستخدمها المتحدثون والكتّاب في مواقف معينة. (لاينز، 1987، صفحة 215) (215,Lines, 1987,p.) ففهم النص وتفسيرهُ لا يتأتّى إلاّ بالرجوع إلى السياق كونهُ يلعب دوراً كبيراً في بيان معنى النص وابرازهُ.

أنواع السياق:

إنّ تعدد دلالات ومعاني الكلمة الواحدة يرجع إلى تعدد المواضع التي ترد فيها، مما يؤدي بدوره إلى أنواع عديدة من السياقات. ويرى أصحاب نظرية السياق أنّ معنى الكلمة يتحدد عن طريق (استعمالها في السياق) فالمعنى لا ينكشف إلا بوضع الوحدة اللغوية في سياقات مختلفة؛ لأنّ (معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وإنِ معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحريرها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها) (حسّان ،1411،هـ ، صفحة ، 68–69) (Hassan, 1411H, 68–69) فدراسة معنى أي كلمة من الكلمات يتطلبُ تحليل السياقات والمواقف التي ترد فيها، لذا فأنِ معنى الكلمة يتحدد تبعا لتعدد السياقات التي تقع فيها وهما:

أولاً :السياق اللغوي ذاتهُ (Verbal Context) : الذي لا ينظر إلى الكلمات كوحدات منعزلة، فالكملة يتحدد معناها بعلاقتها مع الكلمات الأخرى في السلسة الكلامية (حسّان ، 1411، هـ، صفحة 250) (Hassan, 1411,H, 250)

2- سياق الموقف (Situation): أو سياق الحال عند فيرث وهو نوع من التجريد من البيئة أو الوسط الذي يقع فيه الكلام، وسياق الحال يشمل أنواع النشاط اللغوي كّلُّه كلاماً وكتابةً.(السعران ، د ت ،صفحة ، 310 ،311) (310,311,Alsaaran,n.d,P)

وقسم اللغويون السياق إلى مستويات عدّة ومن هذه التقسمات ما يتصل باستعمال الكلمة من علاقات لغوية وظروف اجتماعية وخصائص وسمات ثقافية ونفسية، ووفقاً لهذ التأسيس يمكن ان يقسّمَ السياقُ على أربعة اقسام هي:

أ- السياق اللغوي: وهو حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة متجاورة وكلمات أخرى مما يكسبها معناً خاصاً محدداً، وهو كّلُ ما يتعلق بالاطار الداخلي للغة وما يحتويه من قرائن تساعد على كشف دلالة الوحدة اللغوية الوظيفية وهي تسبحُ في نطاق التركيب. (عبدالجليل، 2002، صفحة 542) (Abdila Jaleel, 2002,P, 542) لأن المعنى الذي يقدمهُ السياق – ولاسيما اللغوي – هو معنى معين لهُ حدود واضحة وسمات محددة غير قابلة للتعدد، لذا وجب العودة إلى نظام اللغة (الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي).

ب- السياق العاطفي: (عبدالجليل، 2002، صفحة 549) (Abdila Jaleel, 2002,P, 549).

ت- سياق الموقف (عبدالجليل، 2002، صفحة 443) ((Abdila Jaleel, 2002,P, 443.

ث- السياق الثقافي (عبدالجليل، 2002، صفحة 446) (Abdila Jaleel, 2002,P, 446).

وملاك القول: فأن معنى الكلمة يُفْهَم من السياق سواء أكانَ لغوياً أو عاطفياً أو ثقافياً فضلاً عن سياق الموقف، فهذه كلها تتضافر على فهم معاني النص المختلفة. وسوف يكون السياق النحوي محور الدراسة لأهميته في السياق اللغوي. فالنحاة الأوائل – وهم يّصنّفونَ على أنَهم نحاة جملة- قد استحضروا السياق في وصف الظاهرة النحوية استحضاراً واضحاً، والشواهد والامثلة بيّنة في كتب النحو ، لا يسعى المقام للخوض في تفاصيلها. يقول الرضي : (وكسياق الكلام المستلزم للمفسِّر استلزاماً قريباً، كقوله تعالى (لأَبَوَيْهِ) [النساء:11] لأنّ سياق ذكر الميراث دال على الموروث دلالة إلزامية) (الرضي الاسترابادي ،2000، صفحة 142/3)(Alradi Alistabaidi, 142/3,2000,P) .

4- دور الضمائر وعلاقتها بالسياق:

أكد (جون لاينز) في بحوثه على دور الإشارة والضمائر والتعريف والتنكير وعلاقتها بالسياق، فالاشارات تمثل لديه نسق العلاقة القائمة، وتربط الإشارة بين التعابير اللغوية وما تمثّلهُ هذه التعابير في عوالم الحديث، وأنّ الضمائر تعدُّ جزءاً من السياق التشخيصي إذ تم تحديد هذه الضمائر بواسطة العلاقات المتبادلة بين الافراد، وأنّ هذه التغيير قد يشير إلى تغيّر مزاج المتحدّث أو موقفهُ. (لاينز، 1987، صفحة 193) (Lines, 1987,P, 193)

5- علم لغة النص والاتِّساق النصّي:

اختلف اللُّغويون في إيجاد تعريفٍ جامعٍ مانعٍ للنصّ، مَرَدّ ذلك؛ اختلاف المُنْطَلَقات الفكرية والفلسفية في المدارس اللِّسانية ومبادئها في نظرتها للنص (البحيري، 1997، صفحة 107) (Albihery, 1997, p.155). لذا تَعَدَّدَتْ تعريفات النص بتعدد اتجاهاته، فالمدرسة السِّيميائية ترى النص على أنَّه مجموعةٌ من النصوص المتداخلة، وقد لا تكون عباراتٍ ملفوظةٍ أو مكتوبة، بل تشمل الإشارات والرُّسومات التي تُوْضَع مثل إشارات التحذير والمرور (يقطين، 2001، صفحة 12) (Yakteen, 2001, p.12).

أمَّا مفهوم النص عند النصِّيِّين فهو: "نسيجٌ من الكلمات يترابط بعضها ببعض، وهذه الخيوط تُجْمَعُ عناصرُهُ المختلفة والمتباعِدة في كُلٍّ واحدٍ هو ما يُطلَقُ عليه مصطلح نص" (الزنّاد، 1993، صفحة 12) (12.Alzannad, 1993, p).

وعرَّفتْ رُقيَّة حسن وهاليداي النصَّ بقولهما: "إنَّ كلمة نصّ تستخدم في عِلم اللُّغويات لتُشيرَ إلى أي فقرةٍ مكتوبةٍ أو منطوقة – مهما كان طولها– شريطة أنْ تكون وحدة متكاملة" (عفيفي، 2001، صفحة 22) (22.Afifi, 2001, p).

وعلَّقَ سعيد يقطين على تعريف رُقيَّة حسن وهاليداي للنصّ بقوله: "وبذلك فهو – أي النص– ليس وحدة نحوية مثل الجملة مثلاً، أو شبه الجملة، كما أنَّ معيار الكم ليس ضرورياً... إذ قد يكون كلمةً أو جملةً أو عملاً أدبيّاً، وبتعبيرٍ أدق وأوضح، النص (وحدة دلالية) وهذه الوحدة، ليست وحدة شكل، بل وحدة معنى" (يقطين، 2001، صفحة 17) (17.Yakteen, 2001, p).

ويُعَدُّ تعريف روبرت دي بوجراند للنصّ أكثر تحديداً، ولا سيما خاصيّة الاتصال بقوله: "لا نستطيع أنْ نتناول النصوص من خلال وصفها بأنَّها وحدات أكبر من الجُمل، أو بأنَّها جُملٌ متوالية في سياق، ذلك بأنَّ الخاصيّة الأُولى للنصوص من بابٍ أَوْلى هي كونها ترد في سياق الاتصال، ولربَّما يأتي أحدُ النصوص على صورة كلمةٍ واحدةٍ أو جملةٍ واحدةٍ أو مجموعةٍ من الأجزاء، أو خليطٍ من البنيات السطحية، ويترتَّب على ذلك أنَّ توسيع نطاق دراسات الجملة بحيث تشمل النصوص، لا بُدَّ أنْ يُفْقِدَ النصوص عدداً من الأُمور الحيويّة، وأنْ يُسَبِّبَ مشكلاتٍ عمليَّة خطيرة" (دي بوجراند، 1998، صفحة 64) (64.De Beaugrande, 1998, p).

(وأكثر العلامات النصيّة المذكورة شيوعاً هي البناء الاتِّصالي والربط النحوي والتماسك الدلالي والقصدية، غير أنَّهما لا يعنيان – أي ديسلر ودي بوجراند– ضرورة تحقُّق هذه المعايير السبعة في كلِّ نصٍّ، وإنَّما يتحقَّق الإكمال النصي بوجودهما، وأحياناً تشكل نصوص بأقل قدرٍ منها (البحيري، 1997، صفحة 146) (146.Albihery, 1997, p)، إذ ركَّز هذا التعريف على طبيعة النص ومستعمليه، المتحدث والمتلقِّي، فضلاً عن السياق المحيط بالنص والمتحدثين، إذ إنَّه راعى المُرْسِل – المتحدث– أو المُسْتَقْبِل، وراعى كذلك السياق والنواحي الشكلية والدلالية، وإنْ غفل عن مراعاة طول النص، إذ ليس من الضروري أنْ يكون النص ذا طولٍ محدد (الفقي، 2000، صفحة 1، 33، 34) (1.AlFiqhdi, 2000, p, 33, 34). أمّا علم لغة النص

فيُعرَّف بأنَّه الدراسة اللُّغوية التي تهدف إلى الكشف عن مجموع القواعد التي تُنَظِّم بناء مختلف النُّصوص، وعن المعايير التي تُميِّزُ النصّ عن اللا نصّ (الصبيحي، 2008، صفحة 73) (73.Alsabehy, 2008, p).

وقيل أيضاً بأنَّه أحد العلوم اللُّغوية التي تُعنى بدراسة النص وإظهار عناصر تماسكه واتِّساقه وربطه بمحتواه البلاغي والتواصلي (هايمان، 2006، صفحة 13) (Hayman, 2006, 13.p).

فـ(علم لغة النصّ) أحد فروع علم اللُّغة، يدرس النصوص المنطوقة والمكتوبة... وإنَّ القصد من البحث في علم لغة النص هو النصّ، كونهُ مركز التحليل اللِّساني، يبدأ منه وينتهي عنده، وتبقى حاجتهُ إلى التداخل مع العلوم الأُخرى لتحقيق هدفه المتمثِّل بالوصول إلى معنى النصّ وتفسيره. ولمَّا كان النصُّ يتكوَّن من وحداتٍ لغويَّةٍ، فمُهِمَّتُهُ الأساسية هي إظهار أوجه التماسُك وبيانها في وحداتِ النصّ، والكشف عن علاقاتِ الربط النحوي والدلالي والعلاقات الإحالية والإشارية، وغيرها من العلاقات الرابطة والجامعة بين جُمل النصّ الواحِد (البحيري، 1997، صفحة 85) (85.Albihery, 1997, p).

6-الاتِّساقُ النَّصِّيُّ ووسائله:

يُعَدُّ مصطلح الاتِّساق الأشْهَر في ميدان الدراسة النصيّة، وعُرِّفَ بعدّة تعريفات، أهمّها تعريف هاليداي ورُقَيَّة حسن، ومؤدّاه: "مفهوم دلالي يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص والتي تحدِّده كنص" (خطابي، 1991، صفحة 15) (15.Khitabi, 1991, p). فالوحدة الدلالية للنصّ تأتي من الاتِّساق الموجود بين الجُمل التي يتكوّن منها النصّ، بيد أنَّ الاتِّساق لا يقتصر على الجانب الدلالي فحسب، إذ عُدَّ علاقةً شكليةً تربط أجزاء الكلام بعضه ببعض وتجعلُهُ كُلاً موحَّداً.

قال محمد خطابي: "ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المُشكِّلة لخطابٍ ما. ويهتم بالوسائل اللُّغوية الشكلية التي تصلُ بين العناصر المكوِّنة لجزءٍ من خطابٍ أو خطابٍ برُمَّته" (خطابي، 1991، صفحة 15) (15.Khitabi, 1991, p).

إذن، فالاتِّساق – لا يتم على مستوىً واحد– يشمل كلّ مستويات النص، إذ تَنْتَقِل المعاني من النظام الدلالي إلى مفرداتٍ في النظام النحوي ثمّ المعجمي وصولاً إلى النظام الصوتي والكناية (خطابي، 1991، صفحة 15) (15.Khitabi, 1991, p).

إنَّ الروابط الشكلية والدلالية تساعد على فَهْمِ وتفسير اتِّساق النص وتسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية وبين النص والبيئة المحيطة من ناحية (الفقي، 2000، صفحة 96/1) (96/1 .AlFiqhdi, 2000, p).

فالاتِّساق يُحقِّق الترابط بين بداية النص وآخره ويهتمّ بالعلاقات بين أجزاء الجملة، وبين جُمل النص دون الفصل بين المستويات اللُّغوية المختلفة (الفقي، 2000، صفحة 97/1) (97/1 .AlFiqhdi, 2000, p).

ومِلاك القول: فإنَّ الاتِّساق يُسهم في عملية إحداث النصّ وبنائِهِ وتنسيق المعلومات في داخله وترتيبها وتحقيق استمرارية الوقائع التي تجري فيه، مِمَّا يساعد القارئ في متابعة خيوط الترابط المتحرِّكة عبر النص، التي تمكِّنُهُ من ملء الفجوات أو الأجزاء المفقودة (شبل، 2007، صفحة 99) (99.Shibl, 2007, p).

المطلب الأوَّل
الإحالة الداخلية (النصّيّة)

مَدخلٌ:

تتحقَّق الإحالة Reference الداخلية Endophora – داخل النص– سواء بالرجوع إلى ما سبق أم بالإشارة إلى ما سيأتي داخل النص، وتُعرف بالنّصّيّة، وتنقسم إلى: إحالةٍ قبلية تُحيل إلى مذكورٍ سابق، وإحالةٍ بعدية تُحيل إلى مذكورٍ لاحق.

(1) الإحالة القَبْلِيَّة **Anaphora:**

وتُسمى أيضاً إحالة على السابق، وتعني: "استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أُخرى أو عبارة سابقة في النص أو المحادثة" (الفقي، 2000، صفحة 38/1) (AlFiqhdi, 2000, 38/1.p). والإحالة النصيّة – الداخلية– أكثر أنواع الإحالة استعمالاً ودوراناً في الكلام (عفيفي، 2001، صفحة 117) (117.Afifi, 2001, p)، وتؤدي الى اتّساق النص بشكل مباشر ، وقد

عَلَّل دي بوجراند هذه الكثرة بقوله: "وتأخُّر الألفاظ الكنائية عن مراجعها، أي ورودها بعد الألفاظ المشترَكة معها في الإحالة أكثر احتمالاً من ورودها متقدِّمة عليها، فرجوع اللَّفظ الكنائي إلى متقدم عليه يهيئ مركز ضبطٍ أنْ تُضاف إليه المادة المتعلقة باللَّفظ الكنائي" (دي بوجراند، 1998، صفحة 327) (De Beaugrande, 1998, p.327).

(2) الإحالة البَعْدِيَّة **Cataphora**:

هي الإحالة التي تُحيل إلى مذكورٍ لاحق، وتُعرَّف بـ"استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أُخرى أو عبارة أُخرى سوف تُستعمل لاحقاً في النص أو المحادثة" (الفقي، 2000، صفحة 40/1) (AlFiqhdi, 2000, p.40/1). و(ضمير الشأن والقصة) خير مثال – في العربية– لبيان هذه الإحالة. (وأما ضمير الشأن والقصة فالجملة بعده ، وإنْ لم تأتِ كالتمييز المذكور لمجرّد التفسير، إلا أنّ قصدهم لتفخيم الشأن بذكره مجملاً ثمّ مفصّلاً مع اتّصال الخبر المفسِّر بالمبتدأ سهل الإتيان به مبهماً فهذا التفسير دون الأول . (الرضي الاسترابادي ، 2000، صفحة ، 144/3) (Alradi Alistrabadi , 2000, P,144/3)

وهذه الإحالة – البعدية– تُثير ذهن المتلقّي وتجلب انتباهه وتشوّقه؛ ومردُّ ذلك إحالتها إلى شيءٍ غير معلوم – مجهول– لم يُذْكَر بعد، ممّا يؤدّي ذلك إلى حثِّ المتلقّي على مواصلة القراءة والبحث عن مرجعِ الضمير (عفيفي، صفحة 42، 43) (Afifi, *n.d*, p.42, 43). وقد تنبه الرضي لهذه المسألة معللاً اياها بقوله (وإنما يقتضي ضمير الغائب تقدّم المفسِّر عليه ،لأنّه وضعه الواضع معرفة لا بنفسه بل بسبب ما يعود عليه .... فإن قلت : فأيُّ شيء الحامل لهم على مخالفة [مقتضى] وضعه بتأخير مفسِّره عنه ؟ قلت : قصد التفخيم

والتعظيم في ذكر ذلك المفسِّر ، بأن يذكروا أوّلاً شيئاً مبهماً حتى تتشوّقَ نفس السامع الى العثور على المراد به ، ثمّ فسّروه فيكون أوقعَ في النفس وأيضاً يكون ذلك المفسِّر مذكوراً مرتين بالإجمال أوّلاً ، والتفصيل ثانياً فيكون آكد) (الرضي الاسترابادي ، 2000، صفحة ، 143/3) (Alradi Alistrabadi , 2000, P,143/3)

والإحالة الداخلية – من حيث المدى– تنقسم على: إحالةٍ ذات مدىً قريب، وإحالةٍ ذات مدىً بعيد (الزنّاد، 1993، صفحة 123، 124) (Alzannad, 1993, p.123, 124).

وتُعَدُّ ضمائر الغيبة من أهم وسائل تحقُّق الإحالة النصيّة، إذ تعود – الضمائر– على مذكورٍ متقدِّم لفظاً وُرتبةً أو لفظاً دون رُتبةً أو رُتبةً دون لفظاً، وقد تعود على متأخّر لفظاً وُرتبةً مثل ضمير الشأن (حسّان، 2006، صفحة 215) (215.Hassan, 2006, p).

وضمائر الغيّاب – عند علماء النص– تكون إحالتها (نصيّة) داخلية، وقد تعددت صور وأشكال هذه الضمائر – داخل النص–، فقد تأتي متَّصلة ومنفصلة تارةً أُخرى ممّا يُحقِّق ترابط النصوص. ومن شواهد ذلك ما أورده الزّجّاجي في أماليه قول رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم): ((أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِكُمْ مَعَالِمَ فَانْتَهُوا إِلَى مَعَالِمِكُمْ، وَإِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى نِهَايَتِكُمْ, فإِنَّ الْعَبْدَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ: أَجَلٌ قَدْ مَضَى لا يَدْرِي مَا اللَّهُ فَاعِلٌ فِيهِ, وأَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لا يَدْرِي مَا اللَّهُ قَاضٍ فِيهِ، فَلْيَأْخُذِ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ، وَمِنْ دُنْيَاهُ لآخِرَتِهِ، وَمِنَ الشَّبِيبَةِ قَبْلَ الْكِبَرِ، وَمِنَ الْحَيَاةِ قَبْلَ المَمَاتِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ، وَمَا بَعْدَ الدُّنْيَا مِن دَارٌ، إِلا الْجَنَّةَ أَوِ النَّارَ)) (الزجّاجي، 1382هـ، صفحة 25) (25.Alzajjaji, 1382AH, p).

ورد في النصّ الكريم عِدّة ضمائر منها الضمير (الواو) للجماعة، إذ تكرَّر مرّتين في قوله (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلذم) : }فَانْتَهُوا{، إذ اسْتُغنِيَ بهذا الضمير عن تكرار لفظة (النَّاس) وجاء الضمير مطابِقاً لِلَّفْظِ المُحال إليه الوارِد بصيغة الجمع المُذَكّر؛ لأنَّ وظيفة الربط بالضمير ناشئةٌ مِمَّا في الضمير مِن إعادة الذِكر، وفي هذا تعليقٌ وائتلافٌ وربطٌ (حميدة، 1997، صفحة 196) (196.Hameda, 1997, p)، فضلاً عن ورود ضمير الخطاب المتَّصل (الكاف) الذي يعود – أيضاً– على الناس، فقد تكرَّر في قوله: (معالمكُم، لكُم – وردت مرّتين–، نهايتكُم)، فجميع هذه الضمائر تُحيل إلى مرجعيَّةٍ واحدةٍ ترتبط بها وتعود عليها وهي لفظة (الناس) التي تُمثِّل المحور الرئيس لهذا النصّ الكريم فيُحقِّق التلاحُم والاتِّساق عن طريق رجوع هذه الضمائر إلى مُفسِّرها لدفع الإبهام عنها، من خلال الوسائل النحوية التي تربط بين المقاطع وتُحاول المحافظة على تماسُك وحدة موضوع النص (هاوزندورف، 2016، صفحة 131) (131.Howzindworf, 2016, p). ومن ثمّ يَسْهُل الوقوف على معاني الجُمل المرتبطة بعضها ببعض، آخذين بنظر الاعتبار إنَّ الحديث النبوي الشريف لرسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم) موجّه للنَّاس عامَّة وليس للمؤمنين خاصَّة، وفيه حثٌّ لطلب الآخرة والسعي لها وترك الدنيا وزينتها وراءُهُم ظِهْرِيّا. وظهرَ ذلك جليّاً في السياق .

ووردت ضمائر غيبة أُخرى في النَّصّ الكريم، منها الضمير (الهاء) وهو للمفرد الغائب في (فِيْه – الواو مرتين–) الأوَّل يعود على الأجل الذي انقضى – من عُمر الإنسان– والآخَر على ما تبقى من عُمرِه – وهما خُلاصة حياة الفرد في هذه الدنيا الفانية– وهو في علم الغيب، قال تعالى: }وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ{[هود: 123]، إذ تَشَكَّلَتْ وحدة إحالية لتلاحم هذا الجانب من أجزاء النص مُحقِّقة اتِّساقاً لربط هذه التراكيب ربطاً متماسكاً منسجماً. وقد ورد – أيضاً– ضمير الغيبة (الهاء) وهو للمفرد الغائب في: (نفسِهِ، لنفسِهِ، دُنْيَاه، لِآخِرَتِهِ) العائد لمتقدّمٍ تمَّ ذِكْرُهُ، إذ استُغنِيَ بهذا الضمير عن مذكور في النصّ مع تطابُق الضمير – الهاء– مع اللَّفظ المُحال إليه–. إنَّ تكرار كلمة (العبد) في النص الكريم –مرّتين– فيه دلالة على الاستسلام والانقياد والذُّل والخضوع إلى قوة وعظمة الله تبارك وتعالى. والعبودية وصفٌ قد وَصَفَ اللهُ تعالى به أنبياءَهُ (عليهم السلام) وعباده الصَّالحين، قال تعالى على لسان سيِّدنا عيسى (عليه السلام): }قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا{[مريم: 30]، والحديث الشريف فيه حثٌّ للعبد على تسخير نوازع الخير في النَّفس البشرية كي يخدم دينه ودنياه ونبذ نوازِعُ الشَّر في هذه النَّفس الأَمَّارةِ بالسُّوء، قال تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}[الشَّمس: 7–8]، واغتنام الدنيا دار عمل لأجل الآخرة فإنَّها دار جزاءٍ وحسابٍ ومستَقَرّ. فضلاً عن ذلك، فقد وردت ضمائر مُسْتَتِرة تقديرها (الهاء) تعود لمتقدّمٍ لفظاً وُرتبةً – العبد– في قوله الشريف: (مِنَ الشَّيْبَةِ إِلَى الكِبَر) و(مِنَ الحَيَاةِ قَبْلَ المَمَات)، والتقدير (مِن شَبِيْبَتِهِ إلى كِبَرِهِ وَمِن حَيَاتِهِ إلى مَمَاتِهِ)، فالإحالة هُنا لم تُذْكَر ونفهمها مِن خلال السِّياق – وهي إحالة داخلية–، والذي يمثل وسيلةً مهمّةً للترابط في النص والاتِّساق بين أجزائه وفهم مرجعيَّة الضمائر فيه سواء الداخلية أو الخارجية.

إنَّ تعدُّد صور وأشكال الضمائر النحوية الواردة في النص الشريف ومطابقتها للألفاظ المُحالة إليها قد ساهم بربط الجُمل ربطاً متماسكاً منسجماً؛ لأنَّ أهمّ عنصرٍ في النصّ يرتبط به أكبر عددٍ ممكنٍ من العناصر الإحالية (الزنّاد، 1993، صفحة 134، 135) (Alzannad, p ,134.1993, 135). فضلاً عن السياق الّذي حقّق التفاعل والترابط بين اجزاء النصّ الشريف ، ويكمن ذلك في اهمّية العلاقة بينهما ، ولاسيما السياق اللغوي المتمثّل باستعمال الكلمة داخل نظام الجملة متجاورة وكلمات أُخرى ممّا يكسبها معنىً خاصاً محدّداً . (عبد الجليل ، 2002، صفحة ، 543) (543,Abdel Jaleel, 2002,P) .

وضمن الإحالة الداخلية، ما رواه أبو حاتم السَّجستاني عن أبي عُيينة قال: "لما احتُضِرَ قيس بن عاصم المنقَريّ جمع بنيه فقال: يا بَنِيَّ احفظوا عني، فلا أحد أنصح لكم مني. إذا أنا مِتُّ فسوِّدُوا كِبارَكُم، ولا تُسوِّدُوا صِغارَكم، فيُحَقِّرَ الناس كِبارَكُم، فتهونوا جميعا عليهم. وعليكم بحفظ المال، ففيه مَنْبَهَةٌ للكريم، ومغناةٌ عن اللئيم. وإياكم ومسألة الناس فإنها آخر كسب الرجل" (الزجّاجي، 1382هـ، صفحة 29) (29.Alzajjaji, 1382AH, p).

يضمُّ النصَّ عناصر عِدّة لربط بعضها مع البعض الآخر بشكلٍ دقيقٍ، فهناك إشارات الربط الموجودة بين جُمل النصّ وكلماته وعبارات البيّنة والتي تُظْهِرُ النسيج النصيّ لهذه العلاقات. وتأسيساً على ذلك، نَتَبَيَّنُ معاييرَ النصِّيَّة لهذا النص، ومن ضمن هذه – المعايير– الإشارات الضمائر: الشخصية التي تؤدي وظيفة الإشارة إلى الاسم ولها دورٌ مهمٌّ في عملية تسلسُلِ جُملِ النصّ وتحقيق الإحالة النصيّة. في النصّ مرجعيَّات عِدّة أبرزها صاحب الوصيّة – قيس بن عاصِم– و(بَنِيَّ)، فضلاً عن مرجعيَّاتٍ أُخرى منها: النَّاس، المال. وقد اسْتُغْنِيَ عنها بضمائر عِدّة منها ما هو ظاهر، ومنها ما هو مُسْتَتِر، ومنها متّصل ومنفصل، وهذه الضمائر شكَّلت شبكة إحالية ساهمت في ترابط أجزاء النصّ فتحقّق وحدتَه واتِّساقَه. فقد ضمَّ النصُّ عناصِرَ عِدّة لربط بعضها مع البعض الآخر بشكلٍ دقيقٍ، فهناك إشاراتُ الربط الموجودة بين جُمل النصّ وكلماتِهِ وعباراتِهِ البيّنة التي تُظْهِرُ النسيج النصّي لهذه العلاقات. وتأسيساً على ذلك نَتَبَيَّنُ معايير النصيّة لهذا النص، ومن ضمن هذه الإشارات الضمائر الشخصية التي تؤدي وظيفة الإشارة إلى الاسم، ولها دورٌ مهمٌ في تسلسل جُمل النصّ وتحقيق الإحالة النصيّة القَبْلِيّة، وقد جاءت الضمائر مطابقة للألفاظ التي أُحِيْلَتْ إليها سواء بصيغة الأفراد أو الجمع، والمرتكز الرئيس في النصّ هو (قيس بن عاصم) مُنْشِئُ النصّ، إذ وردت ضمائر – بصورٍ وأشكالٍ شتّى– تعودُ عليهِ منها (الهاء) ضمير المفرد الغائب في (بَنِيه) والياء في (عَنِّي) و(مِنِّي) – والتقدير أنا– وأبرزها ضمير المتكلِّم الظاهِر المنفصل (أنا) الوارِد في جملة شرطية (إذَا أَنَا مِتُّ) الدَّالِّ على التوكيد والفخر والتعظيم، فالإحالة هُنا إحالةٌ نصيّةٌ قَبْلِيّةٌ، وهي إحالةُ مُتصيّدة من قراءة النمط التركيبي للخطاب، ومردُّ ذلك العلاقة بين الخطاب والسِّياق؛ لأنَّ العلاقة بين إحالات النص والسِّياق علاقة وثيقة – المنجز في مقام معيَّن– يقف عليها محلِّل الخطاب، "... وأمّا المخاطب فلأنَّه يقوم في الاستماع أو القراءة وذهنه لا يخلو من بعض الافتراضات والمعلومات والتجارب السابقة، وهذه كُلّها عوامل تؤثِّر في طبيعة فهمه للخطاب" (علي، 2007، صفحة 159) (159.Ali, 2007, p).

فالسِّياق يسهم في الوقوف على معطيات – في الخطاب– لا تتيحها الصيغ النحوية والأنساق المعجمية للوقوف على دلالة الألفاظ، ممّا يوحي بوجود ترابط نصّي فضلاً عن "مبدأ التأويل المحليّ القائم على اعتماد المقام الذي يحدث فيه الخطاب... وعلى المعرفة الخلفية الحاصلة في ذهن المستقبل" (الشّاوش، 2004، صفحة 178/1) (Alshawish, 2004, 178/1.p).

استعملَ النصُّ صيغاً نحويةً وتعبيريةً وأُسلوبية، فضلاً عن الإشارات التي تُشير إلى وجود وحداتٍ نصيّةٍ مترابطة، وإشارات الربط هذه جعلت النص أكثر تماسكاً وصياغةً وأكثر قوةً، مما يحقّق الإتّساق النصّي للخطاب. وقد ضمَّ النص إحالاتٍ نصيّةٍ قَبْلِيّةٍ ومرجعيّاتٍ عِدة مرتبطةٍ بها وتعود عليها، وهي: الحسن البصري، القُرَّاء، المُلوك. والمرجعُ الأهمُّ والأبرزُ في النصّ هم الملامون –القُرَّاء– محور الحديث، الواقفون بباب ابن هُبيرة– لوماً فيه غِلظة، ونعتُهُم بهذه الصِّفات وحالُهُم جالسين مستأصلين شواربهم، مُحْلِقِينَ رؤوسهم ومقصِّرين أكمامهم عارضين أعلى نعالِهِم، كأنَّهم تحت طبقةِ الفقر طامعين بعَرَضٍ دُنْيَوِيٍّ زائِل، وهذه الأحوال فيها ملمحٌ بلاغيٌ هو الكناية عن الاستجداء وطلب المال.

ونلحظُ في هذا النصّ إنَّ الضمائر المتَّصلة (تاء الفاعل) في (أَخْفيتُم) و(حَلَّقْتُم) و(قَصَّرتُم) و(فَلْطَحْتُم) و(زَهِدْتُم) و(فَضَحْتُم)، فضلاً عن (الكاف) المتلو بميم الجماعة في (شوارِبكُم) و(رؤوسكُم) و(أكمامكُم) و(نَعالِكُم) و(عِندكُم) و(لكِنَّكُم) و(فَضْحكُم)، كُلُّها إضمارٌ بعد ذِكر و "هو نوعٌ من الإحالة المشتركة يأتي فيه الضمير بعد مرجعه في النص السطحي" (عبد الراضي، 2008، صفحة 105) (Abdul Radi, 2008, p.105). فالإحالةُ هُنا داخل النص وهي إحالةٌ نصيّةٌ قَبْليّةٌ تُعيدُ المتلقّيَ إلى مرجعيّةٍ واحدةٍ مذكورةٍ في الخطاب، أي عودتها إلى مُفسِّرٍ سبق ذكرُه. فهذه الضمائر أسهمت في نسج جُمل النصّ وربطِهِ. والخطابُ فيه دلالة على ذمّ هؤلاء القُرَّاء – بعينهم– وتوبيخهم والدُّعاء عليهم، كونهم مِمَّن يُسهِم في نِشْرِ كِتاب الله – القُرآن الكريم– عن طريق تلاوته وترتيله، ولو زهدوا عمَّا عند المُلوك ورَضوا بِما قَسَمَ اللهُ لهُم من الشَّيءِ – الزهيد– القليل (الأصفهاني، 2007، صفحة 220) (Alasfahani, 2007, p.220) لَرَغِبَ المُلوك فيما عندهم، من مرتبةٍ وعُلُوٍّ عند الله تعالى، ولكنّهم آثروا الحياة الدُّنيا واطمَأنُّوا إليها وطَمَعوا في زينتها فزهِدَ الملوكُ فيما عندَهُم. ولعلَّ استرسال عبارات التقريع – من مُنشِئَ النص– وتواليها، مِمَّا ساهَم في تماسُك المعنى بين مضمونِ النصّ وربط السَّابق باللَّاحق، لانّ سياق النص ام ينظر الى

الكلمات – داخل النص – كوحدات منعزلة ، فالكلمة يتحدّد معناها بعلاقاتها مع الكلمات الأُخرى في السلسلة الكلامية . (حسّان ,1411هـ، صفحة ، 68، 69)(Hassan, 68,69,1411,AH,P) وهذا بدورهِ يُؤدِّي إلى اتِّساق النصّ، ناهيك عن وظيفة إحالة الضمير ليست شكلية فقط، بل دلالية؛ لأنَّ الدلالة تبقى غامضة، وكذلك تبقى الجُمل متناثرة لا رابطٍ يربطها، وهذه الجُمل تحملُ دلالاتٍ متناثرةٍ إلى أنْ تَظْهَرَ الضمائرُ أو غيرها من روابط النصّ، لتُمَثِّل ذلك الجِسْرَ الذي يوْصِلُ بين هذه المتناثرات ويربط بينها (الفقي، 2000، صفحة 164/1) .(164/1.AlFiqhdi, 2000, p)

ومنه ما رواه الزجّاجي لبعض الأَعراب في ذِكْرِ حنين الإبل:

حنَّـتْ قَلوصِـي آخـرَ اللَّيْـلِ حَنّـةً فَيـا رَوْعَـةً مَـا رَاعَ قَلْبِـيَ حَنِيْنُهَـا

سـعَتْ فـي عِقالَيْهَـا ولاَح لِعينهـا سَـنَا بَـارِقٍ وَهْنـاً، فَجَـنَّ جُنُونُهَـا

تَحِـنُّ إلـى أرضِ الحِجـازِ صَـبَابَةً وقـد بُـتَّ مِـن أَهْـلِ الحِجَـازِ قَرِينُهَـا

فيـا رَبِّ أَطْلِـقْ قَيْـدَها وجَرِيرَهـا فَقَـد رَاعَ أَهْـلَ المَسْـجِدَيْنِ حَنِيْنُهَـا

(الزجّاجي، 1382هـ، صفحة 201) (201.Alzajjaji, 1382AH, p).

النصُّ الشِّعريُّ يضمُّ ظواهر وصيغ لغويةٍ، وتشبيهاتٍ واستعاراتٍ بلاغيةٍ، وإشاراتٍ نحويةٍ ضمن أُسسٍ بنائيةٍ قواعديةٍ وصفيةٍ، فضلاً عن وجود إشاراتٍ معرفيةٍ دلاليةٍ، وتظهر في النصّ ترابُطاتٍ نصيّةٍ عن طريق ترابُط موضوعِ أجزاء النصّ المتعددة التي تُشكِّلُ عموم النصّ مع معانيها، تَتَبَيَّن جُمل النصّ الشعريّ المترابطة بوسائل لغويةٍ مختلفةٍ، ومنها الضمائر المتعددة التي تعود إلى الأسماء الواردة في النصّ، إذ تؤدي دوراً مهمّاً في تكوين النصّ مع بقائه ثابتاً متماسكاً. وقد تعدَّدت صور ورود ضمير الغيبة، فقد جاء ظاهراً متَّصِلاً، وتارةً أُخرى غائباً مستَتِراً، لذا أدَّى

ضمير الغيبة دوراً رئيساً في تحقيق ترابط النصّ وتلاحمه (خطابي، 1991، صفحة 18) (18.Khitabi, 1991, p).

إنَّ تعدُّد المعاني الواردة في النصّ الشعريّ يُبيّن عدم كفاية القرائن النحوية في توجيه مرجعيات الضمائر. معنى ذلك إنَّ الأنماط التركيبية وقراءتها في النصّ بحاجةٍ إلى قرينةٍ تداوليةٍ من خارج النصّ مستقاة من حُبِّ الإبل وحنينها إلى موطنها الأصلي وأثر ضياء البرق – وَقَد لَاحَ لِعَيْنِهَا– في تحريك هذا الحنين، لقد راعى الشاعر – وهو يصوغ هذه الابيات – مستويين يختلفان بحسب السياق هما : المستوى اللغوي الآنف الذكر ، والاخر مقتضى البيان المتميّز بطابعه الجمالي في سياق لفظي تمثّل بتضمين القصيدة تكرار الضمير (الهاء) إذ توضّح ترابط النصّ إلى "جانب الوظائف الأُخرى التي تؤديها مثل هذه التكرارات بحيث تجلب انتباه القارئ مع تسريع الاستيعاب وترابط الإشارات وحفظ موضوع النصّ بسرعة عند القارئ من خلالها" (هاوزندورف، 2016، صفحة 97) (97.Howzindworf, 2016, p).

وضمن هذا السِّياق، ما رواه الزجّاجي من أبياتٍ للنابغة الذُّبياني قوله:

المَـــــرْءُ يَأْمَـــــلُ أَنْ يُعِيْـــــ ـــشَ وَطُـــوْلُ عَـــيْشٍ قَـــد يَضُـــرُّهُ

تَفْنَـــــى بَشَاشَـــــتُهُ وَيَبْـــــ ـــقَى بَعْـــدَ حُلْـــوِ العَـــيْشِ مُـــرُّهُ

وَتَخُوْنُـــــهُ الأَيَّـــــامُ حَـــــ ـــتَّى لَا يَـــرَى شَـــيْئاً يَسُـــرُّهُ

(الزجّاجي، 1382هـ، صفحة 111) (111.Alzajjaji, 1382AH, p).

النصُّ يحملُ رسالةً لغويةً في سياقٍ لغويٍّ خاصٍّ تَحَدَّدَ على وفق العناصر المُشكِّلة له، إذ تَحَرَّى أحداث ووقائع خارج النص، والبحث عن تَلازُمِ النصّ معها في داخله، مستعيناً بالسياقين اللغوي وغير اللغوي الذي يحيل على خارج النص ، ومنها قرائن السياق المتنوّعة وأثرها في تحديد المعنى ، وهي قرائن حالية كالعقل والعُرف المتمثّل بحبّ الحياة والخوف من الموت ، وريعان

الشباب والشيخوخة ، ويطرح النص مجموعة دلالات متماسكة ومُلتحِمة – وإن كانت فيه الاحتمالية الدلالية – تقوم على معايير نصّية ساهمت في خلق التجانس والتماسك والترابط في نسق تداولي .

ويحتمل النصّ بُعْدٌ تداوليٌّ آخر، فالضمير في لفظة (مُرّهِ) العائد على العيش –وهي إحالة نصيّة قَبْلِيَة– قد يعودُ على (المَرْءِ) أيضاً؛ لأنَّ "البحث التداولي يؤكّد باستمرارٍ إنَّ توظيف العلاقة بين المُحيل والمُحال عليه تجاوز النظام اللغوي بمفهومه الضَّيّق لتُؤسّسَ على خبرات ومعارف موسوعية للتواصل" (آل صوينت، 2010، صفحة 81) (Aalswenet, 2010, p 81.).

المطلب الثاني

الإحالة الخارجية (المقامية) Exophora

أشارَ اللُّغويون إلى الإحالة كونها أداةً كثيرةَ الشُّيوع والتداول في الربط بين الجُمل، والعبارات التي تتألَّف منها النصوص (خليل، 2010، صفحة 227) (Khaleel, 2010, p 227.)، وهي قدرة الوحدات اللُّغوية على إرجاع المتخاطبين إلى ما هو موجود في الواقع، وأَطلَقَ عليه اللُّغويون القُدماء – من عُلماء المعاني– (خارجاً)، على حين سمّاه اللُّغويون (مرجعاً)، وهما – المرجع، الخارج– صيغتان للدلالة على أمرٍ واحدٍ في عالَمِ نصٍّ ما. والخارج هو جزء من العالَم الذي تُحيل عليه الإشارات إلى الوحدات الإشارية بوصفها علامات (الشَّاوش، 2001، صفحة 995/2، 996) (Alshawish, 2001, p 995/2. ,996). والإحالة هي: "العلاقة بين العبارات والأشياء والأحداث والمواقف في العالم الذي يدلُّ عليه بالعبارات ذات الطابع الاختياري في نصٍّ ما؛ إذ تُشير إلى شيءٍ ينتمي إلى نفس عالم النصّ" (دي بوجراند، 1998، صفحة 32) (De Beaugrande, 1998, p 32.).

وفي هذا التعريف إشارة واضحة إلى الإحالة المقامية. والإحالة الخارجية هي إحالة عنصر لغوي على عنصرٍ إشاري – غير لغوي– موجود في المقام الخارجي، مثالُ ذلكَ: إحالةُ ضمير المتكلّم المفرد على صاحبِهِ، إذ يرتبط عنصر لغوي إلى المقام نفسه (الزنّاد، 1993، صفحة 119) (Alzannad, 1993, p 119.). فالاحالة المقامية تساهم في خلق النص كونها تربط اللغة بالمقام .

ويُعَدُّ ضميرا المتكلّم والمخاطَب من الضمائر التي تُحيل إلى خارج النصّ فيتطلّب استعمالهما معرفة سابقة بالنسبة إلى طرائق الاتّصال، وهي تتعلّق بأحوال المتكلّم في ضمير

المتكلّم، وتتعلّق بالمخاطَب في ضمير المخاطَب فيكون المتكلّم بمنزلة المرجع لضميرهِ، ويكون المخاطَب كذلك، فضميرا المتكلّم والمخاطَب قرينتهما الحضور، ولا يمكنُ إيرادهما في سياق المقال، لكن يسهل تحديد مرجعهما؛ لأنَّهما يشتركان في عملية التخاطُب (دي بوجراند، 1998، صفحة 45)(45.De Beaugrande, 1998, p).

وضمن هذا المنحى، ما رواه أبو هريرة (رض)، قال رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم):)أَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَأَفْشُوا السَّلَام وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخَوَاناً كَمَا أَمَرَكُم الله، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُم عَلَى بَيْعِ بَعْض((الزجّاجي، 1382هـ، صفحة 151) (Alzajjaji, 151.1382 AH, p).

الحديث – الخطاب– النبوي الشريف فيه حثٌّ على عمل الخير والإحسان واجتناب المعاصي والموبقات، إذ اشتمل النصّ الشريف على مجموعةِ أفعالٍ جاءت بصيغة الأمر تؤكّد هذه المسألة في (أَطْعِمُوا، أَفْشُوا، كُونُوا، تَنَاجَشُوا، تَدَابَرُوا، يَبِعْ)، فضلاً عن ورود أداة النهي – الواردة في النصّ الكريم– التي أكَّدت الامتثال والسعي لتطبيق أعمال الخير. والمخاطَبون هُم الصحابة (رضي الله عنهم) والمسلمون في كلِّ زمانٍ ومكانٍ إلى قيام الساعة.

ومنه، وما رواه أبو حسن الأخفش عن أبي عبدالله الجدَلي قال: "دخلتُ على أمير المؤمنين علي بن أبي طلب – رضوان الله عليه– فرأيتُ بين يديه ذهباً مصبوباً، فقلتُ: ما هذا يا أميرَ المؤمنين؟ فقال: هذا يَعسوبُ المنافقين. فقلتُ وما معنى يَعسوب يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذا يَلوُذُ بهِ المنافقون كما يلوذُ المؤمنون بي، فأنا يعسوب المؤمنين" (الزجّاجي، 1382هـ، صفحة 26) (26.Alzajjaji, 1382AH, p).

نَلْحَظ في هذا النصّ الكريم تنوُّع الضمائر بين ضمائر المتكلّم والخطاب والغيبة، وفيه دلالة على الحوارية والتّفاعل بين الإمام علي (عليه السلام)، وأبي عبدالله الجدلي؛ لأنَّ "ضمير المتكلّم والمخاطب يفسّرهما المشاهدة، وأمّا ضمير الغائب فعارٍ عن المشاهدة، فاحتيج إلى ما يُفسِّرهُ. وأصل المُفَسَّر الذي يعودُ عليه، أن يكون مقدَّماً لِيُعْلَم المَعْنِيّ بالضمير عند ذكرهِ بعد مُفسّره" (السيوطي، 2009، صفحة 218/1، 219) (Alsiyouti, 2009, p 218/1., 219). وكون الحوار من الوسائل التي تُساعد على استرسال الأحداث وتَواليها، ممّا ينتجُ عنه تماسك المعاني بين مضمون النصّ، مع ربط السّابق باللّاحق، وهذا بدوره يؤدي إلى تفعيل البُعد التّداولي واتّساق

النصّ. فهذا النصّ الكريم تَجسَّدتْ فيه صفة الاتّساق وتوازي الإحالة بضمائر المتكلّم والمخاطَب معاً، إذ بُني النصّ على ضمير المفرد المتكلّم (تاء الفاعل) والغيبة في (دخلتُ، فرأيتُ، فقُلتُ – وردت مرّتين–) الذي يعودُ على الجدلي، فالإحالة هنا مقامية (خارجية) لعدم سبقِ ذِكرها في النصّ، وجازَ الإضمار هنا – وإن لم يَجرِ له ذِكر– لأنَّ الكلامَ يدلُّ عليهِ ولا يلتبس على القارئ ، والنص الكريم يتحدث عن يعسوب المنافقين الذين يُظهِرون الإيمان باللّسان ويكتمون الكُفر بالقلب (الجرجاني، 2007، صفحة 385) (385.Aljurjani, 2007, p). وقد جعل الله تعالى المنافقين شراً مِن الكافرين، قال تعالى: }وَعَدَ اللَّهُ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ]{الْمُنَافِقِينَ التوبة: 68]، واليعسوب من الناس السيِّد، وهو ما أشارَ إليه الإمام (عليه السلام) حين يلوذُ المؤمنون به وهو سيِّدهُم، و"اليعسوب رئيس النحل، إذا طار طارت معه، وإذا حطَّ حطَّت" (الزجّاجي، 1382هـ، صفحة 26) (26.Alzajjaji, 1382AH, p).

وضمائر الغيبة هذه – الواردة في النصّ–، إحالتها قبْلية، يدلّ على وجود نوعٍ من التفاعل المتحقَّق بين أطراف النصّ الداخلية والخارجية، وقد حقَّق هذا التفاعل الاتّساق والترابط النصّي (البطّاشي، 2013، صفحة 173) (173.Albattashi, 2013, p)، ومنه ما أنشدهُ الأخفش عن المُبرّد لبعض الأَعراب في ذِكر حنين الإبل:

حنَّـتْ ومـا عقلـتْ فكيـفَ إذا بكـى شـوقاً يُـلامُ علَـى البُكـا مـنْ يعقِـلُ

ذكـرتْ قُـرى نجـدٍ فأطلقَـهُ الهـوَى وقُـرى العـراقِ ولـيْلهُنَّ الأطـولُ

(الزجّاجي، 1382هـ، صفحة 201) (201.Alzajjaji, 1382AH, p).

ضمَّ النصُّ الشعريُّ ضمائر عِدّة للغيبة، وهو إضمارٌ لمرجعٍ متصّيّدٍ و "هو الإتيان بالضمير للدلالة على أمرٍ ما غير مذكور في النصّ مطلقاً، غير أنَّه يُمكِنُ التعرّف عليهِ من سياق الموقف" (عبد الراضي، 2008، صفحة 105) (105.Abdul Radi, 2008, p)، وهذا الإضمار – إلى غير مذكور– يتمُّ استنباطهُ عن قراءةٍ واعيةٍ التي تقتضي التأمُّل في الضمائر الوارِدة في النصّ. والإحالة المقامية إلى خارج الملفوظ؛ لأنَّ دلالة الخطاب مرتبطة بمرجعية خارج النصّ "يُفهَم مِن الموقِف الخارجي الذي قيلَ فيه الخطاب، أو مِن القرائن الخارجية التي تصحب

اللّفظ من الموقف الاجتماعي الذي يمثل فيه النص" (زرال، 2008، صفحة 381) (Ziral, 381.2008, p).

إنَّ المفهوم المتصيّد من النصّ الشعري مبنيٌ على معرفةٍ استدلالية كون الحنين لغير العاقل ينصرف معناه إلى الإبل لالتصاقها ببيئتها الصحراوية الشديدة الحَرّ كما هو الحال في الجزيرة العربية "فإذا تضمّنَ الخطاب علاقة تخاطبية، فيجب ردّها إلى العلاقات الاستدلالية" (عبدالرحمن، 1988، صفحة 226) (Abdul Rahman, 1988, p 226).

ومنه ما رواه أبو الحسن الأخفش عن المُبرّد، إذ قال:

مُتِّعَـــا بِـــالفِرَاقِ يَـــوْمَ الفِـــرَاقِ مُسْـــتَجِيْرِيْنَ بِالبُكَـــا وَالعِنَـــاقِ

كَـــمْ أَسَـــرَّا هَوَاهُمَـــا حَـــذَرَ النَّـــا ـــسِ وَكَـــمْ كَتَمَـــا غَلِيـــلَ اشْـــتِيَاقِ

فَأَظَـــلَّ الفِـــرَاقُ فَالْتَقَيَـــا فِيـــ ـــهِ فِـــراقٌ أَتَاهُمَـــا بِاتِّفَـــاقِ

كَيْـفَ أدعـوا عَلَـى الْفِـرَاقَ بِحَثْـفٍ وَغَـــدَاةَ الفِـــرَاقِ كَـــانَ التَّلَاقِـــي

(الزجّاجي، 1382هـ، صفحة 57) (Alzajjaji, 1382AH, p 57).

في النصّ الشعريّ جمعٌ من المعارف الدّالّة على البُعد التداولي اللّساني تَمثَّلَ بأوجه العلاقة بين الإحالات ومرجعيّاتِها يُنْبِئ عنه أجواء الخطاب، واللُّغة أداة التواصل فيها غير مكتفين بدراسة المستوى الصوتي والصرفي والتركيبي متعدِّينَ كلَّ ذلك إلى المعنى التواصلي للنصّ (مهيبيل، 2005، صفحة 160) (Muheibeel, 2005, p 160)، أُولاها – في النصّ الشعريّ– أحد وسائل الترابط النصّي أو التماسك النصّي وهو التكرار، وعَدّهُ بعضَهُم نوعاً من الإحالة التكرارية، وجاء محضاً كُليّاً مع وحدة المرجع وكون المسمّى واحداً (عبد الراضي، 2008، صفحة 128) (Abdul Radi, 2008, p 128).، فقد تكررت كلمة (الفِراق) خمس مرّات، إذ أرادَ الشاعر أنْ يوصِلَ رسالةً مؤدّاها أنَّ تباعُد الأحِبَّة والخِلَّان، ومفارقة المحبوب لمحبوبتِهِ سبباً لاجتماعهما ثانيةً،

وافتراقِهما متعة وإنْ ذَرَفا الدُّموع بُكاءً و "أنَّ المتحابّين والعاشقين قد يتصارمان ويتهاجران إدلالاً، لا عزماً على القطيعة وإذا حان الرّحيل وأحسّا بالفِراق تراجعا إلى الودِّ وتلاقَيا، خوفَ الفِراق وأن يطولَ العَهْد بالالتقاء بعده، فيكون الفراقُ حينئذٍ سبباً للاجتماع" (الزجّاجي، 1382هـ، صفحة 57) (57.Alzajjaji, 1382AH, p). وقد يكون مُراد الشاعر أنَّ الحبيب قد يفارِقُ محبوبتِهِ طالباً الغنيمة في سفرِهِ ثُمَّ يعودُ إليها فيطولُ اللِّقاء بينهما، وهذا التكرار حقَّق موسيقيّة شعريّة ساعدتْ على ترابط النصّ وجلبِ انتباه المتلقي. والبُعد التداولي الأهمّ في النصّ الشعريّ الإحالة الضميرية التي ساهمت في خلق التماسك والتجانس والترابط في نسقٍ تداوليٍّ ساعد في اتّساق الأبيات الشعرية، وهي إحالة مقامية خارج النص لغير مذكورٍ يدلُّ عليهِ سياق الموقف، والتي تُحيلُ إلى مرجعيةٍ واحدة، إذ اشتمل النصُّ على عِدّة ضمائر أبرزها (ألف الاثنين) في: (مُتِّعا، كَتَما، التقيا، أتاهُما)، فالإحالة هنا مقامية خارجية لعدم سبق ذِكرها في النص، والمُحالُ إليهما، المحبوب ومحبوبته مع توافق الضمير المُحال إلى العناصر المحيلة عليها خارج النصّ سواء العدد أو الجنس، وهذا دليلُ قيامِ الترابط بين الضمير – ألف الاثنين– والعناصر غير المذكورة الموجودة في العالم الخارجي. وجواز الإضمار – في النصّ الشعري– دلَّ عليه الكلام ولا يلتبس على المتلقّي، انطِلاقاً من تصوُّرات ومفاهيم وقواعد وقيود معرفية تُساهِم في تفسير ومعرفة مرجعية الضمير عَبَّرَ عنه منشأَ النصّ، وهو يتحدث عن الهوى والبكاء والعِناق والشوق والتلاقي في صياغةٍ شعريةٍ جميلة بناها على بُعدين تداوُليَّين هما: التكرار والإحالة المقامية.

خاتمة

انتهى البحث إلى نتائج عِدّة، من أهمّها:

1. اتّسمتْ أمالي الزجّاجي بِلُغةٍ عاليةٍ وبَلِيغةٍ وحُسن نَظْم، وظهر ذلك جليّاً بضمّها أغلب عناصر الاتّساق النصّي – والتماسك اللَّفظي– في نصوصها ممّا يؤكِّد وحدتها النصيّة.
2. ساهم السياق – في أمالي الزجّاجي – في بيان معنى الكلمة داخل نظام الجملة المتجاورة وكلمات أُخرى –ولاسيما السياق النحوي – فضلاً عن السياق غير اللغوي الذي يحيل على خارج النص .
3. للاتّساق النصّي القدرة على إيصال فكرة النصّ إلى المتلقّي مع كشف مقاصد الباثّ – المتكلّم– للتأثير فيه عبر الاحالة النصّية – ومنها الإحالة الضميرية– وإيصال الدلالة إلى ذهن المتلقّي.

4. أدرك اللُّغويون القدماء أهمية النصّ اللُّغوي، وربطوا بينه وبين دلالاتِهِ وسياقِهِ، مع إدراكهم ما فيه من معايير نصيّة ومنها أدوات الربط، والذي سمّاه المحدثون بالسبك، فضلاً عن وسائل التماسُك النصيّ الأُخرى، وإنْ خالفوا المحدثين في مصطلحاتهم وعباراتهم، فهي لا تقلُّ أهميّةً عمّا توصّل إليه الباحثون المعاصرون في هذا المجال.
5. الإحالة الضميرية في أمالي الزجّاجي – وتتبُّع مرجعياتها – كانت أقوى الروابط وأوفرها حضوراً، إذ ساهمت في اتّساق وربط هذه النصوص اللُّغوية وجعلها نسيجاً منتظماً.
6. لَفَتَ انتباه الباحث تنوُّع الإحالة الضميرية في مدوّنة الزجّاجي ما بين إحالةٍ داخليةٍ نصيّةٍ وخارجيةٍ مقاميةٍ، وإنْ كانت الإحالة الداخلية النصيّة هي الأكثر وروداً، وأقوى الروابط في تعزيز الاتّساق النصيّ.

المصادر

- القرآن الكريم.
- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان (2008م)، الخصائص، تحقيق: الدكتور عبدالحميد الهنداوي، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان.
- أبو عفرة، د. محمد سالم (2010م)، السبك في العربية المعاصرة بين المنطوق والمكتوب، الطبعة الأُولى، مكتبة الآداب، القاهرة.
- الاستراباذي رضيّ الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي ، (2000 م) شرح الرضي على كافية ابن الحاحب، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم الطبعة الاولى ، عالم الكتب ، القاهرة .
- آل صوينت، د. مؤيد (2010م)، الخطاب القرآني دراسة في البُعد التداولي، الطبعة الأُولى، مكتبة الحضارات، بيروت–لبنان.
- بحيري، د. سعيد حسن (1997م)، علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، الطبعة الأُولى، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوجمان مصر، مطبعة دار نوبار.
- بلحوت، شريفة (2006م)، الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب التماسك لهاليداي ورُقيّة حسن، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللُّغات، جامعة الجزائر.
- البطاشي، خليل بن ياسر (2013م)، الترابط النصّي في ضوء التحليل اللّساني للخطاب، الطبعة الأُولى، دار جرير، الأُردن.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الحسين الجرجاني الحنفي (2007م)، التعريفات، حقّقه وعلّق عليه: نصر الدين تونسي، الطبعة الأُولى، شركة القدس للتجارة، القاهرة.
- حسام الدين ، كريم زكي ، 1421 هـ ، اصول تراثية في اللسانيات الحديثة ، الطبعة الثالثة ، القاهرة .
- حسّان تمّام ، 1411 هـ ، الاصول ، دار الثقافة ، الدار البيضاء .
- حسين، دلخوش (2006م)، البحث الدلالي في كتاب سيبويه، الطبعة الأُولى، دار دجلة، عمّان–الأُردن.
- حميدة، مصطفى (1997م)، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الطبعة الأُولى، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر.

- خطابي، د. محمد (1991م)، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، الطبعة الأُولى، المركز الثقافي العربي، بيروت.
- خليل، د. إبراهيم محمود (2009م)، في اللّسانيات ونحو النص، الطبعة الثانية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمّان–الأُردن.
- دايك، فان (2001م)، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة وتعليق: د. سعيد بحيري، الطبعة الأُولى، دار القاهرة للكتاب، مصر.
- دي بوجراند، روبرت (1998م)، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: د. تمّام حسّان، الطبعة الأُولى، عالم الكتب، القاهرة.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (2007م)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق وضبط: محمد خليل عيتاني، الطبعة الخامسة، دار المعرفة، بيروت–لبنان.
- روبول، آن، و باك موشلار (2003م)، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: د. سيف الدين دغفوس و د. محمد الشيباني، الطبعة الأُولى، بيروت.
- الزجّاجي، أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق (1382هـ)، أمالي الزجّاجي، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، الطبعة الأُولى، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.
- زرال، د. صلاح الدين (2008م)، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، الطبعة الأُولى، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت–لبنان.
- الزركشي، بدر الدين أبي عبدالله محمد بن بهادر بن عبدالله (2006م)، البرهان في علوم القرآن، قدّم له وعلّق عليه وخرّج أحاديثه: مصطفى عبدالقادر عطا، الطبعة الأُولى، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان.
- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي (2005م)، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: خليل مأمون شيحا، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت–لبنان.
- الزنّاد، الأزهر (1993م)، نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصّاً، الطبعة الأُولى، المركز الثقافي العربي، بيروت.
- السعران د محمود ، د ت ، علم اللغة ، مقدمة للقارىء العربي دارالنهضة العربية ، بيروت ، لبنان .

- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (2006م)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان.
- الشاوش، محمد (2001م)، أُصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية تأسيس (نحو النص)، الطبعة الأُولى، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس.
- شبل، د. عزة (2000م)، علم اللُّغة النصّي النظرية والتطبيق، الطبعة الأُولى، مكتبة الآداب، القاهرة.
- الصبيحي، محمد الأخضر (2008م)، مدخل إلى علم لغة النص ومحاولات تطبيقه، الطبعة الأُولى، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت.
- عبدالجليل، د. عبدالقادر (2002م)، علم اللّسانيات الحديثة، الطبعة الأُولى، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان–الأُردن.
- عبد الراضي، د. أحمد محمّد (2008م)، نحو النص بين الأصالة والحداثة، الطبعة الأُولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- عبدالرحمن، د. طه (1998م)، اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي، الطبعة الأُولى، المركز الثقافي العربي، بيروت.
- عفيفي، د. أحمد (2001م)، نحو النص – اتجاه جديد في الدرس النحوي–، الطبعة الأُولى، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.
- عفيفي، د. أحمد(د.ت)، الإحالة في نحو النص، كلية العلوم، جامعة القاهرة.
- علي، د. محمد محمد يونس (2007م)، المعنى وظلال المعنى – أنظمة الدلالة في العربية، الطبعة الثانية، دار المدار الإسلامي، بيروت.
- الفقي، د. صبحي إبراهيم (2000م)، علم اللُّغة النصّي بين النظرية والتطبيق – دراسة تطبيقية على السور المكّية، الطبعة الأُولى، دار القباء، القاهرة .
- لاينز جون ، 1987، اللغة والمعنى والسياق ، ترجمة د. عباس صادق الوهاب ، الطبعة الاولى ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، العراق .
- محمد، يحيى (2003م)، آليات النص الديني، مجلة المنهاج، العدد(30)، بيروت.
- مصلوح، د. سعد (2003م)، في البلاغة العربية والأُسلوبيات اللّسانية آفاق جديدة، الطبعة الأُولى، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت.
- مهيبيل، عمر (2005م)، فلسفة التواصل، الطبعة الأُولى، منشورات الاختلاف، بيروت.

- نزار، ميلود (2009م)، نحو نظرية عربية للإحالة الضميرية: دراسة تأصيلية تداولية، مجلة العلوم الإنسانية، العدد(42)، السنة السابعة.
- هاوزندورف، هايكو، وفولفغنغ، كسلمان (2016م)، علم لسانيات النص، ترجمة: أ.د. موفّق محمد جواد حسين المصلح، (د. ط)، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد–العراق.
- هاينة، فولفجانج، ودينز فيهفيجر (1419هـ)، مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة: د. فالح بن شبيب العجمي، (د. ط)، مطابع جامعة الملك سعود، السعودية.
- هاينمان، مارغون، وفولفغنغ هاينمان (2006م)، أُسس لسانيات النص، ترجمة: موفّق محمد جواد المصلح، الطبعة الأُولى.
- يقطين، د. سعيد (2001م)، انفتاح النص الروائي، النصّ والسياق، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

References

- The Holy Qura'an.
- Ibn Jinni, Abu Al-Fath Othman (2008AD/1429AH), Al-Khasaais, Revised by Dr. Abdel Hameed Al-Hindawi, 3rd edition, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyiah, Beirut – Lebanon.
- Abu Afra, Dr. Muhammed Salem (2010AD) Casting in Contemporary Arabic language between the spoken and the written languages, 1st edition, Literature Library, Cairo.
- Alistrabadi, Radi Aldeen ,Mohammed Bin Alhasan Alistrabadi Alnahwi (2000 AD). Explained and revised by Prof.Dr.Abdel Aal Salim Makram ,1st edition , Aalem Alkotob . Cairo.
- Ale Swenet, Dr. Muayyad (2010 AD), Qur'anic Discourse, a study in the pragmatic dimension, 1st edition, Al-Hadarat Library, Beirut-Lebanon.
- Beheiry, Dr. Hassan Saeed (1997AD) The Science of Text Language (Concepts and Trends), 1st edition, Egyptian International Publishing Company, Logman Egypt, Nomar House Press
- Belhout, Sherifa (2006AD) Al-Ehala, a theoretical study with the translation of first and second chapters of the book "The Cohesion of Halliday and Ruqayya Hassan", an MA thesis, Faculty of Literature and Languages, University of Algiers
- Al-Battashi, Khaleel Bin Yasser (2013AD) Correlation in Light of Linguistic Analysis of the Discourse, 1st edition, Jarir House, Jordan.
- Al-Jorjani, Ali bin Mohammed bin Ali Al-Hussaein, Al-Jorjani, Al-Hanafi (2007AD) Take cared and Revised by Nasr Al-Deen Tunisi, 1st edition, Sharikat Al-Qudus Liltijara, Cairo.
- Hussein, Dalkhoush (2006) Semantic Research in Sebawayh Book, 1st edition, Dar Dijla, Amman, Jordan.

- Hosam El-Din, Karim Zaki, 1421 AH, 2001 AD, Heritage inModern Linguistics, Third Edition, Cairo
- Hassan, Tammam, 1411 AH, Al-Usul, Dr. T, H Dar Al-Thaqafa, Aldar albaidaa.
- Hamida, Mustafa (1997AD) The System of Linking and Connecting in the Structure of the Arabic Sentence, 1st edition, Egyptian International Publishing Company.
- Khatabi, Dr. Muhammed (1991AD) Text Linguistics :An Introduction to Text Harmony, 1st edition, Arab Cultural Center, Beirut.
- Khaleel, Dr. Ibrahim Mahmoud 2009 (2009AD), In linguistics and text grammar, 2nd edition, Dar Al Masirah for Publishing and Distribution, Amman, Jordan.
- Dyck, Van (2001AD) Text Science, Interdisciplinary Entry, translated and commented by Dr. Saeed Buhairi, 1st edition, Cairo Book House, Egypt.
- De Po Grand, Robert (1998AD) Text, Discourse and Procedure, translator. Tammam Hassan, 1st edition, Alam Al Kotob , Cairo.
- Al-Ragheb Al-Asfahani, Abu Al-Qasim Al-Hussein Muhammed (2007AD) Vocabulary in Gharib Al-Qura'an, Edited and Controlled by Muhammed Khaleel Itani, Fifth Edition, Dar Al Ma'rifa, Beirut, Lebanon.
- Ruppaul, Anne, and Buck Moschler (2003AD) Pragmatics Today. A new science in communication, translation, Dr. Seif Al-Deen Daghfous, Dr. Muhammed al-Shaibani, 1st edition, Beirut.
- Al-Zajjaji, Abu Al-Kasim Abdel Rahman bin Ishaq (1382AH) Amali Al-Zajjaji, Revised and Explained by Abdel Salam Muhammed Haroon, 1st edition, Al-Moassasa Al-Arabiyah Al-Hadeetha for typing, publishing and distributing, Cairo.

- Razal, Dr. Salah al-Deen (2008AD) The Distinguished Phenomenon of Ancient Arab Scholars Until the End of the Fourt Hijri Century, 1st edition, Arab Science Publishers, Beirut.
- Al-Zamakhshari, Abu Al-Kasim Jarullah Mahmood bin Omar Al-Khawarizmi (2005AD/1426AH), Al-kashaf an Haka'aik Al-Tamzeel wa Oyoon Al-Aqaweel fi Wojooh Al-Taweel, Take cared and commented by Khaleel Ma'amoon Shesha, 2nd edition, Dar Al-Ma'arifah, Beirut – Lebanon.
- Al-Zarkashi, Badr Al-Deen abi Abdillah Mohammed bin Bahadir bin Abdillah (2006AD), Al-Burhan fi Uloom Al-Qura'an, Take cared and commented by Mustafa Abdul Qadir Atah, 1st edition, exclusive rights Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah, Beirut – Lebanon.
- Al-Zinnad, Al-Azhar (1993AD) The Construction of the text: A Study of What is Spoken in a Text, 1st edition, Arab Cultural Center, Beirut.
- Al-Saaran ,Dr. Mahmood ,n.d. , .Ilm Allouga. Dar Alnahdah Alarabiyiah , Beirut , Lebanon.
- Al-Siyouti, Jalal al-Deen Abdel Rahman bin Abi Bakr (2008AD) Hama Al-Hawama fi Sharh Jama Al-Jawamia, Revised by Ahmed Shams al-Deen, 2nd edition, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyiah, Beirut-Lebanon.
- Al-Ashawsh, Muhammed (2001AD), The Origin of Discourse Analysis in Syntactic Theory Establishing (Syntax of the Text) 1st edition, The Arab Foundation for Distribution, Tunis.
- Shibl, Dr. Azza (2000AD), Applied Linguistics Theory and Applied, 1st edition, Literature Library, Cairo.
- Al-Subayhi, Muhammed Al-Akhdar (2008AD), An Introduction to Textual Linguistics an Applied Areas, 1st edition, Al Dar Arabia sciences Publishers, Beirut
- Abdul Jaleel, Dr. Abdul Qader (2002AD), Modern Linguistics, 1st edition, Safaa Publishing House, Distribution, Amman, Jordan.

- Abdul Radi, Dr. Ahmed Mohammed (2008AD), Text grammar between Originality and Modernity, 1st edition, Publisher, Culture Library, Cairo.
- Abdulrahman, Dr. Taha (1998AD) Al-lesan wel Mezan or Al-tacawther Al-Aqli, 1st edition, Arab Cultural Center, Beirut
- Afifi, Dr. Ahmed (2001AD), Text Grammar - A New Trend in the Grammar Lesson, 1st edition, Zahraa Al Sharq Library, Cairo.
- Afifi, Dr. Ahmed (No Date) Assignment in the text grammar, Faculty of Science, Cairo.
- Ali, Dr. Muhammed Muhammed Younus (2007AD) Meaning and Shades of Meaning - Indication Systems in Arabic, 2nd edition, Dar Al-Madar Al-Islami, Beirut.
- Al-Fiqhdi, Dr. Subhi Ibrahim (2000AD) Textual Linguistics between Theory and Practice - An Applied Study on Meccan Suras, 1st edition, Dar Al-Quba, Cairo.
- Lines, John, 1987, Language, Meanings and Context, translated by Dr. Abbas Sadiq Al-Wahab, House of General Cultural Affairs, Baghdad,Iraq.
- Muhammed, Yahya, (2003AD) Mechanisms of Religious Text, Al-Minhaj Magazine, Issue No. 30, Beirut.
- Maslouh, Dr. Saad (2003AD) In Arabic Rhetoric and Linguistic Stylistics, New Horizons, 1st edition, Scientific Publishing Council, Kuwait University.
- Muheibeel, Omar (2005AD) Philosophy of Communication, 1st edition, Mansurat Al-Ekhtelaf, Beirut.
- Nizar, Miloud (2009AD) Towards an Arab theory of conscientious assignment, a rooting and pragmatic study, Journal of Human Sciences, Issue 43, Year Seven.
- Housend Warf, Haiku, and Wolfgang Casalman (2016AD) Linguistics of Text, Translation: Prof. Dr. Muwaffaq Muhammed Jawad Hussain Al-Musleh (No press) Al-Maamoun House for Translation and Publishing. Iraq, Baghdad.

- Heine, Wolfgang and Dieter Fehfiger (1419 AH) Introduction to Text Science, Translation: Dr. Faleh bin Shabib Al-Ajmi (No Press) King Saud University Press, Saudi Arabia.
- Heinemann, Margon & Folfgang Heimann (2006AD) Foundations of Text Linguistics, Translated by Muhammed Jawad Al-Musleh, 1st edition.
- Yaqteen, Dr. Said (2001AD) The Openness of Fiction Text, Text and Context, 2nd edition, Arab Cultural Center, Al Dar Al-Baeda'.